اليقين في الله تعالى طريق الإستقامة والثّبات

(خطبة جمعة 16 من صفر 1435هـــ الموافق لـــ 17 جانفي 2014م

لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله –)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا،

" . . . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿17﴾ " سورة الكهف.

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ

﴿102﴾ "سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا

﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – ،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في جمعتنا المباركة هذه، نتناول موضوع:

اليقين في الله تعالى طريق الإستقامة والثّبات

لماذا يغشّ الغاشّ لو كان له يقينٌ في قوله تعالى:

" **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿58﴾** " **سورة الذّاريات.**

ولماذا يقطع نسله، أو يتذمّر من تحمل زوجته لو كان له يقينٌ في قوله تعالى:

" **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا . . . ﴿6﴾** " **سورة هود.**

ولماذا يجبن ويخاف أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وقول كلمة الحق من كان له يقينٌ في قوله – صلّى الله عليه وسلّم – : (**واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلاّ بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيءٍ لم يضرّوك إلاّ بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام وجفّت الصّحف**).

ولماذا يتعامل بالرّشوة ليحصل على ما يريد من كان له يقينٌ في قوله تعالى:

" . . . وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿2﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ . . . ﴿3﴾ " سورة الطّلاق.

ولماذا يعترض من يعترض على قضاء الله وقدره إذا اشتدّ البلاء عليه وهو يقرأ:

" . . . فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿19﴾ " سورة النّساء.

بل إن سفيان الثَّوْرِي – رحمه الله – كان يقول: (**لم يفقه عندنا من لم يعدّ البلاء نعمةً والرّخاء مصيبةً**).

واعلموا، معاشر المسلمين، أنّ مدار ثبات النّاس على اليقين وضعفه، ولذلك فقد كان الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – أشدّ ما يخافه على أمّته ضعف اليقين، فقد روى الطّبراني في الأوسط بسندٍ رجاله ثقاتٌ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – ، قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (**ما أخاف على أمّتي إلاّ ضعف اليقين**).

ولقد عرّف ابن القيّم – رحمه الله – في مدارج السّالكين اليقين، فقال: (**اليقين من الإيمان بمنزلة الرّوح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمّر العاملون، وثمرته التّوكّل على الله، ومتى وصل اليقين إلى القلب، امتلأ**

نورًا وإشراقًا، وانتفى كلّ شكٍّ وسخطٍ، وهمٍّ وغمٍّ، أُعْطِيَ رَضِيَ وشكر، حُرِمَ رَضِيَ وصبر ولم يتبدّل).

وتصير درجة اليقين إلى المكاشفة، بحيث المخبر به لقلوبهم كالمرئي بعيونهم، فنسبة الإيمان بالغيب إلى القلب كنسبة المرئي بالعين.

فإن قرأوا:

" إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿51﴾ " سورة غافر.

لم يساورهم شكٌّ أنّ العاقبة للمتّقين.

ولذلك لما قيل للصّحابة – رضوان الله عليهم – :

" الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿173﴾ " سورة آل عمران.

وقد يدعو المسلم فلا يرى للإجابة أثرًا، وسرّه لا يتغيّر، لأنّه يعلم أنّه مملوكٌ، وله مالكٌ يتصرّف بمقتضى إرادته، وهو أعلم حيث الخير، وله في كلّ أمرٍ حكمةٌ.

وكذلك كلّ تسلّطٍ من الكفّار على الأنبياء والمؤمنين، وما وقع ردٌّ عنهم، ولا دفعٌ عنهم من الله، فإن اعتقد أنّ القادر عجز عن الرّد كان ذلك كفرًا، وإن تيقّن أنّ القدرة متمكّنة من الرّد وما ردّت، وأنّ الله قد يجوّع المؤمنين ويشبع الكفّار، لم يبق إلاّ التّسليم لله العليم الخبير.

ولقد أخبرنا ربّنا جلّ جلاله في كتابه عن يقين الأنبياء والمؤمنين، لقد ذهب يوسف بن يعقوب – عليهما السّلام – ، فبكى يعقوب ثمانين سنةٍ لم ييأس، فلمّا ذهب ابنه الآخر قال:

" . . . عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿83﴾ " **سورة يوسف.**

وقال موسى – عليه السّلام – حينما أدركه فرعون وجنده، ودخل الشّكّ الّذين معه، فقالوا:

" فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿61﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿62﴾ " **سورة الشّعراء.**

" وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿22﴾ " سورة الأحزاب.

هذا حال أهل اليقين الّذين لا يساور إيمانهم شكٌّ في أنّ النّصر بِيَدِ الله، وأنّ الأمر كلّه لله، وأنّ اختيار الله هو أفضل اختيارٍ لنا.

ولقد بيّن السّلف حقيقة اليقين والمتّصف به.

وقد ثبت في السّنن الصّغرى للبيهقي – رحمه الله – : { **سمعت ذا النّون يقول: (ثلاثةٌ من أعلام اليقين: النّظر إلى الله في كلّ شيءٍ، والرّجوع إليه في كلّ شيءٍ، والإستعانة به في كلّ حالٍ)** }.

كما ثبت في شُعَبِ الإيمان للبيهقي – رحمه الله – ، عن ابن مسعود – رضي الله عنه – مرفوعًا، ومرةً موقوفًا، عن النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – أنّه قال: (**لا تُرْضِيَنَّ أحدًا بسخط الله، ولا تحمدنّ أحدًا على فضل الله، ولا تذمّنّ أحدًا على ما لم يُرِدْ الله، فإنّ رزق الله لا يسوقه إليك حِرْصُ حريصٍ، و لا يردّه عنك كُرْهُ كارهٍ، وإنّ الله عزّ وجلّ بقسطه وعدله جعل الرّوح والرّاحة والفرح والرّضا في اليقين، وجعل الهمّ والحزن في السّخط والشّكّ**).

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه،

وأشهد أن لا إلــٰـه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

إذا وجدت الرّجل ساخطًا عمّا حلّ به، فذلك لضعف يقينه أنّ اختيار الله أفضل له.

وإن وجدته جبانًا عن النّصح والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فَلِضُعْفِ يقينه في أنّ الله النّافع الضّارّ ولا سواه.

وإن وجدته يستعمل الغشّ والخداع والرّشوة والأَيْمَانِ الكاذبة، فَلِضُعْفِ يقينه في أنّ الله هو الرّزّاق.

قال ابن أبي حاتمٍ - رحمه الله - في الجرح والتّعديل 94/1: { **كان سفيان الثّوري يقول: (لو أنّ اليقين استقرّ في القلوب لطارت شوقًا أو حزنًا، إمّا شوقًا إلى الله عزّ وجلّ، وإمّا فرقًا من النّار، تطير شوقًا بالعمل الصّالح، وتفرّ عن المعاصي للنّجاة من النّار)** }.

ولذلك كان الصّحابي - رضي الله عنه - يتمنّى أن تكون له أكثر من نفسٍ، ليستشهد أكثر من مرّةٍ في سبيل الله، لِشَوْقِهِ إلى الله وجنّته.

ولذلك قال خالدٌ بن الوليد – رضي الله عنه – وهو على فراش الموت، يموت كَمَوْتِ البعير، وهو الّذي خاض الغزوات وغيرها من الفتوحات، فقال مُنْكِرًا على الجبناء الّذين يخشون الموت: (**لقد شهدتُ مائة زحفٍ أو زُهاءَها، وما في جسدي موضع شبرٍ إلاّ وفيه ضربةٌ أو طعنةٌ أو رَمْيةٌ، ثمّ هأنذا أموت على فراشي كما يموت العَيْر، فلا نامت أعين الجبناء**).

ولذلك قال الذّهبيّ – رحمه الله – في سير أعلام النّبلاء: (**يسير اليقين يخرج كلّ الشّكّ من القلب**).

ولهذا ألقت أمّ موسى – عليه السّلام – ولدها في اليمّ، متيقّنةً أنّ ابنها في حفظ الله ورعاية الله تعالى:

" . . . فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ . . . ﴿40﴾ " **سورة طه.**

قال التّرمذي – رحمه الله – في نوادر الأصول 145/1: (**اليقين وهو أن يقذف الله في قلب العبد نورًا وهو اليقين، حتّى يهتك حجب الشّهوات الّتي تراكمت في صدره، فتصير الآخرة له كَالْمُعَايَنَةِ**).

قال حارثة – رضي الله عنه – : (**كأنّي أنظر إلى عرش ربّي بارزًا، وإلى أهل الجنّة كيف يتزاورون، وإلى أهل النّار كيف يتعاوُون فيها، وَعَزَفَتْ نفسي عن الدّنيا، واستوى عندي حجرها ومدرها، وذهبها وفضّتها**).

هذا اليقين لا يحصّله إلاّ من لازم كتاب الله تلاوةً وتدبّرًا وفهمًا، هذا اليقين لا يحصّله إلاّ من تقرّب إلى الله بطاعاتٍ، وأخلص في النّيات، واتّقى محارم الله تعالى في سرّه قبل علانيّته.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْنًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة المصريّين،

اللّهمّ فرّج محنة المصريّين،

اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج محنة السّوريّين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.